



أم الأخرس أعلم الناس بلغته

بقلم: رائف محمد الويشي

24 نوفمبر 2009

" سكت دهرا ونطق كفرا " .. ينطبق هذا القول تماما على علاء مبارك والذي أطل برأسه علينا في حملة إعلامية منظمة ومرتبطة جيدا مع الإعلام المصري يوم الجمعة الماضي عقب عودة الفريق القومي المصري يوم الأربعاء الماضي من الخرطوم مهزوما من الفريق الجزائري في تصفيات التأهل للمونديال ..

في يوم واحد ظهر علاء مبارك في برنامجين ليضرب على وتر عواطف المصريين من خلال كرة القدم ومهاجما الجزائريين ، فماذا قال ؟ ..

قال نصا في البرنامجين " ما فعله الجمهور الجزائري كان إرهابا " .. " الجمهور الجزائري صورنا وكأننا يهودا نقتل أهل غزة " .. " لما يعرفوا يتكلموا عربي أولا يبقى يقولوا على أنفسهم عرب " .. " ما حدش يقولي لا جزائر ولا عروبة .. دي مصطلحات لا بتودي ولا تجيب " ..

في اليوم التالي وهو يوم السبت الماضي جاء أبوه في افتتاح دورة جديدة لمجلسي الشعب والشورى وركب نفس الموجة وقال تعليقا عن ادعاءات تعرض المصريين للأذى في الخرطوم من الجمهور الجزائري " لن نسمح أن يتعرض المصريون للإهانة " ..

فيما يتعلق بكلام علاء مبارك عن الإرهاب ، فهذا هو أبوه وهذا هو الشعب .. يستطيع أن يرى بأم عينيه من خلال نظرة واحدة في أقسام البوليس كيف يتعامل جهاز مبارك الأمني مع الشعب .. يستطيع - إن لم يكن لديه وقت - أن ينقر في جهاز الحاسوب لديه ليقرأ تقارير منظمات حقوق الإنسان الدولية عن معاملة أبيه للشعب المصري على مدى عقود ثلاثة ..

أما عن كلامه عن تصوير الجمهور الجزائري لنظيره المصري وكأنهم يهود يقتلون أهل غزة ، فإنه يستطيع أن يذهب إلى أقرب مدرسة ابتدائية لمنزله ويسأل التلاميذ عن تحالف مع اليهود في قتل أهل غزة .. الأمور لم تعد رمادية اللون ودعاء المسلمين في الأخذ بثأر أطفال غزة المقتولين قد نقلت إلى السماء المفتوحة وقد دفع هو شخصا الثمن كاملا غير منقوص عن ذلك ..

وأما عن شكوكه حول عروبة الجزائريين وسخريته من حديثهم الممزوج بالفرنسية فهنا لنا وقفة نود فيها أن يعرف الناس الخلط المتعمد والغير أخلاقي الذي تنتهجه عصابة الأربعة وهي صفة ليست غريبة عن بيتهم .. كل منقفي العرب يعلمون بتفاصيل المجهود الحربي الجزائري مع مصر بعد نكسة 67 وحتى انتهاء حرب أكتوبر 73 رغم الحالة العدائية التي كان يكنها السادات لهواري بومدين بسبب حبه المشهود له لجمال عبد الناصر (راجع مقالنا مصر والجزائر وأفيون العرب والذي يذكر تفاصيل المجهود الحربي الجزائري على الجبهة المصرية) ..

وأما فيما يتعلق بدفاع أبيه عن المصريين بأنه لن يسمح بإهانة المصريين ، فهو يعرف قبل غيره أن المصريين لم يتعرضوا في تاريخهم الحديث لإهانات واحتقار لأدميتهم بأكثر من تلك التي يتعرضون لها على يديه في عقود الثلاثه فوق صدرهم تزويرا وإرهابا ونهبًا وتبيدا للموارد ..

نحن نعرف حال المصريين في الداخل فقد عذبنا معهم عدة مرات .. ففي 10 فبراير 2005 صدر قرار شخصي من مبارك بتعذيب وقام ضابط الحماية الشخصية له الرائد عمرو الشافعي بالحرس الجمهوري بتسليمي إلى ضباط أمن الدولة الذين جردوني من ملابسي وعذبوني بشدة وأعطبوا عيني اليمنى بفعل ضربات الأحذية .. كما اعتقلت في 20 يونيو 2007 مع فلذة كبدي وطفلي القاصر الذي كان يبلغ حينها 15 سنة ..

لقد أشرف أربعة من موظفي السفارة الأمريكية على تعذيبنا في البداية ثم أرسلنا إلى مركز لاطوغلى صاحب الشهرة العالمية في التعذيب والقتل حيث تعرضنا إلى تعذيب وحشي ونحن مقيدان من الخلف ووجوهنا مغطاة ودخل طفلي في إغماء مرتين من شدة التعذيب وشهادات سجناء لاطوغلى تؤكد ذلك .. لقد تواطأت الحكومة الأمريكية - التي أحمل جنسيتها وولد طفلي في أرضها - مع نظيرتها المصرية على إخفاء الأدلة ورفضت سفارتها المتأمرة لقاء شهود الاعتقال وأخبرت الداخلية المصرية بأسمائهم وأنكرت تسلمها لشهادات منهم ..

لقد عرف السيناتور أوباما بقصة تعذيبنا وتسلمت منه ثلاث رسائل في 2007 وكشف فيها بعض أبعاد المؤامرة وانتظرت حتى يفوز بالانتخابات وأخرج من مصر مع أسرتي سالما ..

أهمل الرئيس أوباما كل مناشداتي له بالتحقيق فيما حدث لنا من تعذيب وحشي من واقع ما أملك من أدلة ووثائق ونسى كل وعوده الانتخابية بمجرد فوزه .. لم ارتكب جرما في البلدين ولم أخالف القوانين هنا أو هناك ، كل خطيئتي أنني رفضت العمل مع جهاز الأمن المصري في نيويورك ، هذا الجهاز الذي كان يوما يحمي الأمن القومي المصري وتحول في عهد الطاغية الفاسد إلى متابعة المصريين الشرفاء في الخارج وإحراز المكاسب الشخصية من كعكة نهب مصر ..

نحن نعرف أيضا حال المصريين في الخارج ، وما زلنا نذكر جثث المصريين العائدين من العراق في زمن صدام والأخرى التي تعود الآن من شواطئ الدول المجاورة ، كما نعرف كيف يعامل المصريون الذين يتم ترحيلهم من أوربا إلى مصر من قبل السلطات المصرية بمجرد تسلمهم ، ونعرف أيضا كيف تتعامل سفارات مصر مع المصريين الذين يعيشون بصورة شرعية في الغرب وحادث الشهيدة مروة الشرييني في ألمانيا يذكره الناس جيدا .. لكن إنكار الجرائم وادعاء عكس ما يجري وارتداء ثوب الوطنية كلها صفات يدهيها الطغاة الفاسدون دائما ..

كان علاء مبارك قد اختفى من الساحة بضغوط من أمه ، هي تعرف قبل غيرها بسيرته العفنة في أوساط المصريين والتي أحد أسبابها جرائمه في فرض إتوات مالية على خلق الله الناجحين في مصر مثل وجيه أباطة وغيره ..

سمع المصريون أيضا عن الشائعات التي تحدثت في التسعينات عن إدمانه للمخدرات وأن الممثل الراحل (م . و) كان ضحية جريمة قتل قامت به أجهزة أمن مبارك لأنه تكلم عما رآه ..

القصة بدأت عند انتقال الممثل المذكور للعلاج في إحدى المصحات العلاجية للإدمان ووجد الغرفة المجاورة له تحت حراسة أمنية وتمكن من معرفة من بداخلها وكان علاء مبارك .. حذر الأمن الممثل المذكور بالألا يفتح فمه بما رأى إلا أنه خالف التعليمات ، نجا من محاولة أولى لقتله في إحدى المدن الساحلية ونجحت المحاولة الثانية وغادر الممثل الراحل إلى ربه رغم عمره القصير وبطولاته الرياضية التي يعرفها الجميع ...

دفعت سوزان مبارك بابنها الأصغر إلى المقدمة واضطرت إلى مخالفة الطبيعة لأن حظوظ علاء في الوراثة كانت معدومة .. تزوج علاء من فتاة تسمى هايدى وكان أبوها - مجدي راسخ - يعمل عند محمد نصير .. أما الأخير فكان يعمل في الشركة التي أنشأها حسنى مبارك لتجارة الأسلحة في فرنسا عقب توليه الحكم (تقف تلك الشركة وراء تمسك مبارك بعدم الإفصاح عن مشتريات مصر العسكرية أو حتى مناقشتها في مجلس الشعب) .. الشركة تسمى الأجنحة البيضاء The White Wings وقد تحدث عنها الكاتب الصحفي الأكثر شهرة في العالم بوب ودورد في كتابه " الحجاب " الذي صدر في أواسط الثمانينات ..

تكونت الشركة المذكورة من أربعة شركاء وهم حسنى مبارك ونسيبه وشقيق زوجته اللواء طيار منير ثابت وحسين سالم (الرجل الخفي في حياة آل مبارك وصاحب عقود الغاز مع إسرائيل وحوت الأعمال) والمشير عبد الحليم أبو غزالة ..

خرج أبو غزالة مطرودا من كل من الوزارة والشركة بعد أن غضبت عليه أمريكا .. لم يشفع له تاريخه العسكري المشرف ولم تشفع له وقفته بجانب الطاغية الفاسد عقب حادث المنصة ..

لقد عرف عن مبارك الأناثية الشديدة منذ شبابه واشتهر بين زملائه بالوشاية لأنه كان يقدم التقارير الأمنية الكاذبة فيهم ويفسر ذلك وصوله السريع إلى أعلى المناصب العسكرية..

منع أبو غزالة من الخروج من مغادرة مصر حتى في سنواته الأخيرة رغم شدة المرض الخبيث وضرورة علاجه في الخارج .. تدخل أكثر من زعيم عربي لدى مبارك بغرض خروجه للعلاج ، لكن مبارك رفض كل النداءات ..

مبارك يعلم أن خزينة الأسرار التي يحملها أبو غزالة في عقله عنه مليئة حتى العنق وكان هذا هو ما يخشاه ، ليس فقط تلك التي تتعلق بحياة البيزنس ولكن الأخطر هي تلك الأسرار التي تتعلق بحياة مبارك الشخصية ..

دفعت ممثلة مصرية معروفة حياتها في لندن ثمنا لحياة مبارك الشخصية ، أبعدها عن مصر لمدة عشر سنوات وكانت تستجدي طعامها وتسكن في غرفة منحها لها مجانا أحد المصريين في فندق متواضع في لندن ولا تزيد مساحتها عن متر ونصف في مترين .. قررت أن تنتقم بطريقتها الخاصة فكتبت مذكراتها لقول الحقيقة وتبين الظلم الذي تعرضت له .. كانت تحت المتابعة الدقيقة من رجال مبارك في لندن وكان الصحفي الذي يكتب لها يرسل أولا بأول ما يكتبه لها إلى القاهرة ، في الفصل الثالث قرروا الخلاص منها بعد أن علموا بنيتها ، واختفت الفصول الثلاثة ..

كانت قبل موتها بثلاثة أيام تتحدث تليفونيا مع الشاعر أحمد فؤاد نجم وعرف منها اسم الصحفي وحذرها منه لسيرته التخريبية ، لكنها كانت مصرة على المضي قدما للثأر بقول الحقيقة رغم الحصار المفروض عليها .. جاء ملك الموت وأخذها ليؤجل المحاكمة إلى يوم تشخص فيه الأبصار ، لن يتمكن المقدم " موافي " في تلك المحاكمة الربانية من الإنكار فقد كان بطل السيطرة على المغدورة في منتصف الستينات وكذلك في منتصف الثمانينات ..

تتصف حياة الأعمال الغير شرعية في أي مكان في العالم بصفتها العنقودية ، مثلها مثل التنظيمات المسلحة .. مجموعات منفصلة ويرأس كل مجموعة أحد رجال الثقة يعينه القائد الميداني ..

خرج نصير من عنقود الشركة المذكورة وكون له عنقودا خاصا ولكن تحت إشراف علاء مبارك .. كما فرضت صفقة الزيت والدقيق أن يكون لمجدي راسخ عنقودا آخر خاصا وعلى درجة كبيرة من الحجم بسبب علاقة النسب عمل في عنقوده رجل يدعى مجدي راسخ وكانت له ابنة على درجة كبيرة من الجمال تسمى هايدي ، اجتمعت صفقة الزيت والدقيق بين علاء مبارك وهايدي مجدي راسخ ..

بدأ راسخ بمشروع بيفرلى هيلز في مدينة 6 أكتوبر وخرج منه بربح يقدر بعشرة بلايين جنيها ، اشترى الأرض بقروش وباعها فيلات بأرقام فلكية للمصريين الذين أفنوا حياتهم وتحملوا مرارة الغربة .. لم يدفع مليما واحدا في هذا المشروع ، فقد تم إعادة تقييم الأرض كي يصبح ثمنها قريبا من نجوم السماء ثم أخذ قرضا من البنوك يتمشى مع السعر الجديد .. دارت العجلة وأسرعت في دورانها وانتقل راسخ بأقدام راسخة إلى لعبة التوكيلات التي تراكمت الآن على مكتبه وترأس بجانب ذلك العديد من الشركات ..

أصبح راسخ عنقودا كبيرا يعمل أصحاب العناقيد المجاورة له ألف حساب .. يمسك علاء برأس كل العناقيد ويتابع حصادها لصالح " آل مبارك " بدقة وبصورة صارمة معتمدا على خبرته في البلطجة ، لا أحد يجراً أن يخرج عن طوعه ..

هناك عناقيد في كل مكان ، حتى داخل الحرس الجمهوري .. أحد كبار ضباط هذا السلاح يدير أعمالا خارج البلاد من خلال " واجهة " كان يعمل سابقا عضوا لمجلس الشعب عن الحزب الوطني ، رغم أنه لم يحصل على الثانوية العامة وكان هاربا من الجيش ويملك عدة فيلات في منطقة وادي النطرون .. عنقود هذا الضابط الكبير ليس بعيدا عن أعين علاء مبارك بل يعمل ضمن نطاقه وإن كان يتحلى ببعض التجاوزات بسبب موقعه وقربه من رقبة مبارك ..

تفرغ جمال للشأن السياسي وإن كان بدأ حياته مثل أخيه ، اعتراف أبيه عن مشاركته في شراء ديون مصر والمتاجرة بها أكبر دليل وشركة لندن تنبأ بأنها رأس جبل الجليد .. نصيب جمال من حصاد العناقيد يأتيه على الوجه الأكمل وغير مطلوب منه التدخل في صدام المتابعة اليومية لها والتي تفرغ لها علاء مبارك ، عليه فقط التركيز على الملف السياسي لتمير التوريث واستمرار الدجاجة في إخراج ذهبها لضمان عدم فتح ملفي حقوق الإنسان والفساد بعد رحيل كبيرهم ..

هناك أزمة كبيرة وخطيرة تواجه مبارك الآن وهي دخول أكثر من شخصية مصرية لها وزن دولي إلى حلقة الرئاسة وربما يحوز أحدهم على الرضا الأمريكي والتي تدل حوادث التاريخ بأنه لا أمان له .. الأمريكيون يشعرون بأنهم يتحملون عبأ مساعدة طاغية فاسد والبدائل التي ظهرت أخيرا في البرادعي وموسى تستحق منهم دراستها ..

يشعر مبارك أن فزاعة الإخوان التي كان يرددها لم تعد تنطلي على أحد وهو - كراقصة الإستريبتيز العجوز - يبذل أقصى ما لديه كي يثبت أقدام " الننوسة " جمال من خلال الباب الإسرائيلي ، هو يعلم بحكم شيطانيته بأنه الباب الأقرب إلى قلب الأمريكيين والأسرع في نتائجه ، لكنه لا يضع بيضه في سلة واحدة لأن الأمواج قد تصبح عاتية في أي لحظة ..

يتلفت من حوله فيجد أن استخدام الباب الداخلي في إيصال رسائله إلى الخارج قد يأتي بنتائج في صالحه .. هناك طريق واحد

ووحيد للوصول إلى هذا الباب ، دغدغة عواطف المصريين من خلال حدث وطني .. هو يعلم أن تسخين الأجواء العسكرية مع إسرائيل - ولو بالاتفاق معهم - هو أفضل وأسرع الطرق للوصول إلى ذلك ، لكنه يعلم أيضا أن الإسرائيليين لا يدخلون في مثل تلك الاتفاقات على أمنهم القومي وقد يضربونه على مؤخرته ضربة تخرج العائلة بأكملها من مصر في أفضل الأمور تقاؤلا ..

فكر مبارك طويلا في وسيلة يستطيع بها دخول الباب الداخلي ودغدغة عواطف شعبه ، قدمت له شعبة الرأي العام في جهاز أمن الدولة الوسيلة المتاحة في ظل الإمكانيات المحدودة ، استخدام الغوغاء في مباراة كرة قدم قومية لإيقاظ النعرات وإلهاب المشاعر ..

هم يعلمون أن الجوع الذي يضرب في أحشاء المصريين واليأس من الحياة الذي أصابهم بسبب نهب مصر وموتى المتوسط في القوارب وقلة الوظائف والسرادق الكبير المنسوب بحدود مصر من جراء وجود مبارك في الحكم كلها عوامل تقلل من نجاح تلك الوسيلة ، لكن الخيارات أصبحت معدومة أمام عصابة الأربعة ولا بد من التحرك سريعا ..

تتلخص الخطة في قيام أجهزة الإعلام بحملة مركزة في الشحن والتسخين بين فريقي البلدين في مصر والجزائر على أكثر من محور منها لقاءات بالتلفاز وإذاعة أغاني وطنية من زمن حرب أكتوبر ..

تبدأ المباراة على حلقات هناك وهنا وما بينهم ، ومعها السكرة التي يحجب دخانها الكثيف وجوه المتآمرين .. قطعة مستديرة من جلد حيوان تتحرك سريعا بين الأقدام وتحرك معها عدة ملايين في المقاهي والبيوت من أصحاب الأمعاء الخاوية والأكباد المسرطنة والكلاوى الفاشلة والأمل المسدود والبلد المنهوب ، إنهم يهتفون ويدقون طبول الحرب غير مدركين أنهم فقط ضحايا ما يصنعون من عبث !! ، لقد استخف فرعون قومه فأطاعوه ..

يخرج رجل الإتاوات في نهاية المسرحية يتغنى باسم مصر التي نهبها مع أبيه ويضرب على وتر الوطنية لعله يأتي بنتيجة ما ، يخلفه الأفعى الأكبر في جلسة مجلسي الشعب والشورى ولا حمرة لخل على وجهه الكريه ثم يختمها الننوسة بالمشاركة معهما في اليوم التالي لإضفاء مزيد من الجدية على هذا المشهد الكوميدي الساخر ..

إن عصابة الأربعة التي نهبت مصر تمكر مكرًا كبيرا وعميقا ويجربون كل الوسائل المتاحة ، لكننا نؤمن بأن الله خير الماكرين شرط أن يتوقف المصريون عن الإستغناء وأن يتحدوا كرجل واحد ويدركوا أن الأفعى مصاص دماثهم وزوجته - حمالة الحطب - التي تكيد المكائد لهم وابنه الكبير المدمن البلطجي والآخر الصغير المدلل التافه الذي يمشى على الأرض مستعليا كالطاووس في ثوب الوثائقين هم جميعا من يستحق العقاب والخروج إلى الشوارع لإسقاطهم .. والله غالب على أمره ..

رائف محمد الويشي
سانت لويس - ميزوري - أمريكا

elwisheer@yahoo.com

تابع مقالات سابقة لكاتب المقال على مدونته " ثوار مصر " وعنوانها كما يلي :

www.thowarmisr.com